محمد بن سلمان الفرصة التاريخية لقيادة الأمة... لماذا ضيّعها

قد تختلف الأسباب والخلفيّات للموقف السعودي من عدم التحرّك الجدّي لوقف العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة، ومن احتضان عملية "طوفان الأقصى" ومباركتها.

الفرصة لتتربّع السعودية بملكها سلمان بن عبد العزيز وولي عهده محمد، على عرش زعامة الأمة العربية والإسلامية من خلال موقف قوي بوجه حرب إبادة جماعية ترتكبها "إسرائيل" بحقّ الشعب الفلسطيني في قطاع غزة المحاصر؟

بعيداً عن العمل العسكري...

تملك المملكة أوراق قوة تقلب مشهد العدوان والحصار المطبق على أطفال غزة تحت عشرات آلاف الأطنان من القذائف رأساً على عقب:

تنفيذ بيان القمة الطارئة التي عقدت على أرض المملكة، قائدة الدورة الحالية للجامعة العربية،

خصوصاً البند الذي ألزم العرب أنفسهم فيه بفك الحصار وإيصال المساعدات بشكل فوري، وهو ما يخوّلها أن تسير برسالة تحدٍّ عبر قوافل لإدخالها إلى قطاع غزة، يقودها مسؤولون سعوديون، وهو ما سيمنع "إسرائيل" من قصفها، فتداعيات ذلك أكبر من قدرة الكيان على تحمّلها ولا يريدها لأسباب عديدة، بعضها مرتبط بالتطبيع.

التلويح بسلاح النفط، ليس بالضرورة قطعه أو حظر بيعه إلى الأسواق الغربية، ولا سيما لواشنطن، ولكن يكفي التهديد به، أو أن تقود الرياض مسعى في منظمة أوبك بلاس لخفض الإنتاج دعماً لغزة... قوة الخطوة أنها تهدّد برفع أسعار النفط المرتفعة أصلاً لمستويات لا طاقة للغرب الأطلسي أن يتحمّلها في ظل واقع السوق ما بعد المواجهة في أوكرانيا...

لكن الخطوة نفاها ضاحكاً في التاسع من الشهر الحالي وزير الاستثمار السعودي خالد بن عبد العزيز الفالح في معرض ردّ على سؤال لقناة "السي أن أن" الأميركية قائلاً: إنها ليست مطروحة على طاولة المملكة، مشيراً إلى أنّ مفاوضات التطبيع مع "إسرائيل" لا تزال مطروحة عليها!

قد تختلف الأسباب والخلفيّات للموقف السعودي من عدم التحرّك الجدّي لوقف العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة، ومن احتضان عملية "طوفان الأقصى" ومباركتها...

لعلها "الثورة الفكرة" التي انفجرت في الـ 7 من تشرين الأو/لأكتوبر بـ "طوفان الأقصى" محطّمة أسطورة الجبروت الإسرائيلي وأسطورة "جيشه" ... "الثورة الفكرة" القادرة أن تحوّل شعباً مستضعفاً بإمكانيات قليلة على هزيمة الطغاة والمستكبرين مهما بلغوا من قوة وقدرة والإطاحة بهم...

لنرجع بالتاريخ إلى ستينيات القرن الماضي... الوطن العربي في حينه يعبره مدّ ثورات تحرّر وطني واستقلال عن استعمار عسكري مباشر وعلى ملكيات تحكم بلاد المركز في وطننا العربي كالعراق ومصر وتولّد فيها "جمهوريات" ركّزوا على هذه الكلمة، ولنذهب إلى اليمن الثورة عام 1962 الذي تحوّل ساحة واجه فيها الزعيم الراحل جمال عبد الناصر الملكيّتين الأردنية والسعودية اللتين حاربتا قيام نظام جمهوري في اليمن خوفاً من وصول المدّ إلى ممالك وإمارات في دول الخليج والإطاحة بحكمها لذا وجب قتالها وسحقها...

بعد خمسين عاماً نقلت صحيفة «هآرتس» الإسرائيلية عن الأرشيف المركزي الإسرائيلي أن "تل أبيب" قدّمت مساعدة عسكرية ضد الثوّار الجمهوريين في اليمن وعبد الناصر واستمرّت بذلك سنوات إلى أن جرى

الاتفاق على وقف لإطلاق النار وإنهاء الحرب عام 1967... وبحسب الصحيفة الإسرائيلية فإن "ما قامت به تل أبيب تجاه اليمن وعبد الناصر ساهم بشكل فاعل ومؤثّر في هزيمة العرب عام 1967 بعد أن أُنهك الجيش المصري طوال سنوات سبقت الهزيمة". فكانت حرب "يعاقب" فيها عبد الناصر حامل راية "الثورة الفكرة".

ويبدو أنه كما في اليمن عام 62 من القرن الماضي كذلك في غزة تلتقي المصلحة والهدف ذاته ألا وهو طحن "الثورة فكرة" ...فليعاقب كلّ من تجرّأ وحلم بصنع أسطورة عبرت العالم.

فليقتلوا ويحرقوا ويبادوا ليكونوا عبرة لكلّ من تسوّل له نفسه اعتناق "الثورة الفكرة" وانتخاب خيار المواجهة والمقاومة لاقتلاع الطواغيت... فلتلعن "الثورة الفكرة" في رؤوس الوعي الجمعي للأمة عبر إبادة أصحابها في غزة، ونشر صورهم وهم يذبحون وأطفالهم محاصرون في المستشفيات في كلّ أرجاء المعمورة والعالم يتفرّج عليهم، والأدهى من ذلك أن تعمّم رواية التخلّي عنهم حتى من حلفائهم وشيطنتهم بعمل إعلامي منسّق وممنهج يحتاج إلى مقال وحده لتفصيله. كلّ ذلك بهدف وأد الفكرة حتى في خيال الجيل الجديد بأي مملكة أو إمارة في المنطقة...

سبق طوفان الأقصى بدء بحث التطبيع بين الرياض و"تل أبيب" من دون أيّ مكاسب لفلسطين القضية والشعب، بل تعويم لفوائد في الاقتصاد وترويج لمشاريع على رأسها "خط الهند-أوروبا" الذي طرح في قمة العشرين بنيودلهي في أيلول/سبتمبر الماضي منافساً لخط الحرير الصيني، والترويج أنّ من عوائقه غياب تطبيع العلاقات بين السعودية و"إسرائيل" لاستكمال وصوله من منطقتنا إلى أوروبا... مسار التطبيع هذا أغرقه طوفان الـ 7 من تشرين الأو/لأكتوبر فكان لا بدّ من إفشاله وتعويم خيار التطبيع على أنه الأنجع، وأن خيار المقاومة لا يحقّق سوى القتل والتشريد والدمار والركود...

انتصار غزة في طوفان الأقصى تمّ سلفاً ميدانياً واستراتيجياً وكذلك في الوعي الجمعي... "الثورة الفكرة" أحالت دم غزة نبراساً عبر العالم أعاد للقضية الفلسطينية موقعها على الساحة الدولية، والأهم سياقها التاريخي وجذورها، هذا ما نسمعه في الساحات عبر العالم حيث يصرخ فيها الناس في دول غربية: "الحرية لفلسطين"، و"فلسطين من البحر إلى النهر". وأعاد لـ "إسرائيل" توصيفها الدقيق على أنها "دولة" احتلال وإجرام... هذا غير قابل للنقاش لأنّ من فهمه جيل جديد "لن يموت" و"لن ينسى"، ليس في فلسطين المحتلة بل وفي العالم، وبالتالي فإن العداء لـ "إسرائيل" لن يبقى محصوراً بتشخيصها "الأداة المنفّذة" فقط وإنما لكلّ من شارك ودعم بشكل مباشر أو غير مباشر فجوهر "الثورة الفكرة" أنها تصلح لكلّ طاغية احتلالاً كان أو نظاماً.